[148] إركب إليهم. ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذرا، ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول: يا علي ! إركب إليهم، فان لم أفعل رأيتني قطعت رحمك، واستخففت بحقك. قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعطى من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس ! فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله وما جئت شيئا إلا وأنا أعرفه، ولكني منتني نفسي وكذبتني وضل عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من زل فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتمادى في الهلكة. إن تمادى في الجور كان أبعد من الطريق وأنا أول من اتعظ. استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عبدا لاستن بسنة العبد، ولاذلن ذل العبد، ولاكونن كالمرقوق، إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عني خياركم أن يدنوا إلي، فان أبت يميني لتتابعن شمالي. قال: فرق الناس له يومئذ وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك الله في نفسك، فأتمم على ما قلت، فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيدا ونفرا من بني أمية، ولم يكونوا شهدوا الخطبة، فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين ! أتكلم أم أصمت ؟ فقالت نائلة بنت الفرافصة إمرأة عثمان الكلبية: لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه ومؤثموه. إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فاقبل عليها مروان وقال: ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ، فقالت له: مهلا يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه، وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما والله لولا أنه عمه وأنه يناله غمه لاخبرتك عنه

---